# أطاريح:

## المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش أقسام الكلام أنموذجا، تصنيف ودراسة"

للباحث: أحمد خلدي[1]

تقرير الأطروحة

الحمد لله تبارك وتعالى أولا، أبلغ الحمد وأوفاه، وأكمله وأنماه، والصلاة على خير مبعوث للأمم، والسلام على أفضل من أُرسل بالحِكَم.

تأسيا بالمصطفى الأمين، وامتثالا لإشاراته العلية في التأدب مع من صنع صنيعا، أو أسدى معروفا، فإني أتقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام، عسى أن أوفي صاحبا الحق بعض حقهما، وذا الفضل بعض فضلهما...

وأقصد بذلك أستاذي الدكتور "محمد أزهري"، وأستاذي الدكتور محمد تاقي اللذين تفقهت وتعلمت على يديهما في فصول الإجازة، وخصاني بهذا الإشراف الذي تحملا عناءه بكل حب وإخلاص، ولم يكن يحبسني عن الاتصال بهما واستشارتهما والتنور بإشاراتهما وتوجيهاتهما النيرة التوقيتُ الإداري، بل كنت ألتقي بهما في كل مكان بدءا بالكلية مرورا بعمادة كلية اللغة العربية وانتهاء بداريهما، وأشكرهما كذلك على تتبع كل مراحل هذا البحث منذ مرحلة إعداد التقرير والتسجيل إلى أن أرسى به في ميناء هذا المدرج العامر لأجل المناقشة. ولأجل ذلك فمهما شكرت أو عدَّدت من فضائل هذين الرجلين، فإني لن أبلغ معشار حقهما، وأسأل الله أن يجزيهما الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة.

**1ـ موضـوع البحث:**

المصطلح، لماذا المصطلح؟

إذ لا يخفى على المتتبع لمسيرة العلوم وتاريخ تطورها، أن المصطلح هو الوعاء الحامل للعلم ومفاهيمه، والوجه الذي يعكس درجة النضج الحضاري، والفكري، والثقافي للأمم. وما

---

[1]- رسالة نوقشت رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، المغرب، لنيل شهادة الدكتوراه بتاريخ: 29 ديسمبر 2016، وحصّل بها الباحث على درجة "مشرّف جدّا مع تنويه لجنة المناقشة".

ذلك إلا لأن «الوزن المعرفي في كل علم رهين مصطلحاته (...)، لأنها تولده عضويا، وتنشئ صرحه، ثم تصبح خلاياه الجنينية التي تكفل التكاثر والنماء». (عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص:44)

والبحث في المصطلح، هو بحث في « عمق الذات، والتدقيق فيه تدقيق في العلم بالذات؛ ذلك بأنه يتعلق ماضيا بفهم الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات»، كما عبر عن ذلك شيخنا الدكتور الشاهد البوشيخي.( الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص:07).

وللمصطلح أهمية كبرى في تحديد نطاقات العلوم والفنون، فهو عنوان لحالة، أو موقف، أو فلسفة، أو علم، و: «إنما تتبلور مفاهيم العلوم عند ولادتها في مصطلحات، وتعبر عن نضجها حين تنضج بمصطلحات، وتبلغ أشدها حين تبلغه بأنساق من المصطلحات، ولا سبيل إلى استيعاب أي علم، دون فهم المصطلحات، ولا سبيل إلى تحليل وتعليل ظواهر أي علم، دون فقه المصطلحات، ولا سبيل إلى تجديد أي علم دون تجديد المصطلحات، أو مفاهيم المصطلحات».(الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، ص:15.)

وأدرك علماء العرب منذ القدم هذه المكانة ، وعبروا عنها بألفاظ تبين مدى وعيهم، وإدراكهم للدور الذي تقوم به، وسوروا تلك العبارات بنوع من التفخيم حيث وسموها ب"مفاتيح العلوم" وب"مقاليد العلوم"...

وإن البحث في المصطلح النحوي على وجه الخصوص، ضرورة ملحة، لأن ذلك نابع من مكانة النحو بين علوم اللغة العربية أولا، ثم الصعوبة التي يجدها القارئ غير المتمرن، وهو يطالع كتب النحو في فهم المصطلحات، وتلقيها ثانيا، بالإضافة إلى ما فيه من مد جسر التواصل بين الماضي والحاضر. ومع التطور المستمر للعلم تصبح الحاجة ملحة أكثر إلى تيسير فهم المصطلح، وتوضيح مراميه، وبيان كيف كان؟ وكيف هو كائن؟ وهذا ما لا يمكن أن يتم إلا اعتمادا على ما يقربه ويبين المقصود منه.

بناء على كل ذلك، اتجه النظر، ومالت النفس إلى البحث في المصطلح النحوي والعناية به، وظهر لي في الأمر مسلك واحد، هو المصطلح النحوي في جزء من تراثنا العربي الإسلامي.

هذان المحوران ـ التراث والمصطلح ـ منطلق هذا البحث ومبتغاه، ومحاولة تقريب المصطلح النحوي التراثي إلى القارئ. غير أن التشعب الذي يتسم به، فرض علي التقليل من المساحة، حتى يستطيع القيام بما هو متوخى منه.

وبما أن النحو قد تشعبت فروعه، وتوسعت دائرة الكتابة فيه؛ فإن ذلك حتم علي التقيد أكثر، وذلك اعتمادا على أنموذج يكون عليه الاعتماد، ومنه الانطلاق. واتخذت كتابا من أهم الكتب النحوية، وهو كتاب "شرح المفصل" لابن يعيش(ت:643 هـ). وتعاملي مع هذه الموسوعة النحوية دفعني، إلى التقيد من جديد، وذلك بالتركيز على الأقسام الثلاثة للكلام، الاسم، والفعل، والحرف. ولهذا كان موضوع بحثي هو:"**المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش (553ـ643ه)، أقسام الكلام أنموذجا، تصنيف ودراسة**". ومسألة الاصطلاح هنا تطرح إشكالات عديدة، وأبرز ما عملت عليه: هو المصطلح وواقعه الدلالي، ثم التطور الذي لحق تلك الدلالة، ودور تلك الدلالة في تغير التراكيب، ولاسيما مصطلح الاسم، ومصطلح الفعل، ومصطلح الحرف. وهنا طرحت مجموعة من الأسئلة من قبيل: ما معنى المصطلح النحوي؟ وكيف نشأ؟ وما هي أهم مراحل نشأته؟ وما حد الاسم ؟ وما هي مشتقاته، و ضمائمه؟ وكيف نظر ابن يعيش إلى الفعل، ومشتقاته وضمائمه؟ وما هو الحرف؟ وما هي مشتقاته وضمائمه؟ وما هي أهم القضايا المستخلصة من دراسة المصطلح النحوي؟

مما سبق أفترض جدلا أن ابن يعيش وافق الزمخشري في كل اصطلاحاته، وأن دلالة المصطلحات التي سأدرسها بقيت ثابتة، ولم تتغير بتغير استعمالها، وهذه الفرضية من شأنها أن توصلني في النهاية، إلى تحقيق بصمة لتجاوز ما هو متداول، وإزالة الغموض المتعلق بالمصطلحات النحوية.

وأفترض من جديد، أن هذا العمل سيحقق أهدافا على المستوى القريب والبعيد، فمن أهدافه القريبة، الإسهام في إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات النحوية للغة العربية، سواء المعرفة منها أو غير المعرفة، أما أهدافه البعيدة، فتتجلى أساسا في إعادة إحياء تراثنا العربي، وقراءته قراءة نقدية من شأنها تجديد عناصر القوة في ذات الأمة لتفعيلها من جديد.

2ـ دوافع البحث:

أما مسوغات اختيار هذا الموضوع، فمنها ما هو ذاتي، ومنها ما هو موضوعي، وتتبين فيما يأتي:

ـــ اهتمامي بمنهج الدراسة المصطلحية، إذ يعتبر الموضوع امتدادا لبحث الماستر المعنون بـ:"المصطلح اللساني في اللسانيات المعربة، معجم المصطلحات اللسانية لعبد القادر الفاسي الفهري ونادية العمري أنموذجا".

ـــ رغبتي في إضافة لبنة جديدة إلى حقل الدراسات المصطلحية.

ـــ أهمية كتاب "شرح المفصل" موضوع البحث، حيث يعتبر من أهم الموسوعات النحوية التي جُمع فيها ما تفرق في غيرها، فهو عبارة عن عصارة لأفكار النحاة الذين تقدموا على صاحبه بدءا بسيبويه وانتهاء بالزمخشري.

ـــ الأسلوب القوي الذي تميز به ابن يعيش، وهو يعالج المسائل النحوية في هذا الشرح تعليلا وتوجيها. والتركيز على الجوانب المتعلقة بالمصطلح.

ـــ أهمية الدراسة المتعلقة بالتراث، وخصوصا في مجال المصطلح.

ـــ نفور الباحثين من هذا النوع من البحوث، وذلك لتشعب القضايا المتعلقة بالمصطلح النحوي خاصة، وكل ما يتعلق بالنحو عامة. وموضوعي هذا من شأنه أن يحفز الباحثين للاهتمام بكل ما يتعلق بالمصطلح النحوي.

**3ـ منهج البحث:**

وبما أن موضوع البحث هو:" المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش(553ه ـ643ه)، أقسام الكلام أنموذجا، تصنيف ودراسة "، فإن المنهج المتبع فيه، هو منهج الدراسة المصطلحية، و سيكون على الشكل التالي:

أـ إحصاء الألفاظ الاصطلاحية النحوية إحصاء تاما، حيثما وردت، وكيفما وردت، وبأي معنى وردت، وذلك تنفيذا للركن الأول من منهج الدراسة المصطلحية، وهذا يعني: «الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها لفظ المصطلح المدروس، وما يتصل به لفظا ومفهوما وقضية، في المتن المدروس»( نظرات في المصطلح والمنهج، ص:22.)، والإحصاء المعتمد هنا وصفي قائم على الاستقراء التام، وموضوعه يتمثل في مجالات أربعة جامعة بين المصطلح ومفهومه:

ـــ لفظ المصطلح مفردا، أو مجموعا، معرفا، أو منكرا، اسما، أو فعلا، مضموما إلى غيره، أو مضموما إليه غيره.

ـــ الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذر المصطلح .

ـــ التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح، أو غيره دون لفظه.

ـــ القضايا العلمية المندرجة تحت مفهوم المصطلح وإن لم يرد بها لفظه.

ب ـ دراسة مصطلحات أقسام الكلام في المعاجم اللغوية، ثم الاصطلاحية، ثم في اصطلاح ابن يعيش: قال الدكتور الشاهد البوشيخي :«دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح، وبأي الشروح شرح المصطلح، وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه

المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء».( نظرات في المصطلح والمنهج، ص:23.)

ج ـ الدراسة النصية لأقسام الكلام، وفق المنظور الذي حدده شيخنا الأستاذ الدكتور العلامة الشاهد البوشيخي، وهي :«دراسة المصطلح وما يتصل به في جميع النصوص التي أحصيت من قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات وعلاقات وضمائم وغير ذلك». (نظرات في المصطلح والمنهج، ص:24.)

د ـ الدراسة المفهومية: وهي التي درست فيها نتائج الدراسة النصية، وتصنيفها، ثم استخلاص التعريف في نهاية الدراسة، أي:«دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفا مفهوميا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدرس».( نظرات في المصطلح والمنهج، ص:25 . )

هـ ـــــ العرض المصطلحي، وجاء على الشكل التالي:

ـــــ تعريف مصطلحات أقسام الكلام لغة واصطلاحا، ثم في اصطلاح ابن يعيش.

ـــــ عرض العلاقات المتعلقة بالترادف والتقابل والتعاطف.

ـــــ عرض الضمائم الإضافية والوصفية.

ـــــ عرض المشتقات.

ـــ إنهاء الدراسة ببعض القضايا المستخلصة من دراسة المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش.

**4 ـ هيكلة البحث:**

أتى البحث في مقدمة، ومدخل، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وملحق خاص بالمصطلحات النحوية المعرفة في شرح المفصل، ولائحة خاصة بالمصادر والمراجع، وفهرس تفصيلي لموضوعات البحث.

خصصت المقدمة للحديث عن موضوع البحث، ودوافعه، ومنهجه، ومحتواه، وصعوباته.

أما المدخل فتحدثت فيه عن الفرق بين المصطلح، والاصطلاح، والنحو، وعن المصطلح النحوي باعتباره مركبا وصفيا، ثم نشأة المصطلح النحوي، والدراسات التي اهتمت بالمصطلح النحوي.

أما الباب الأول المعنون بمصطلح الكلام ومصطلح الاسم، فقسمته إلى فصلين، تناولت في الفصل الأول مصطلح الكلام، وذلك من خلال خمسة مباحث، خصصت المبحث الأول لتعريف الكلام لغة واصطلاحا، ثم في استعمال ابن يعيش. وتحدثت في المبحث

الثاني عن خصائص الكلام المتمثلة في مكونات الكلام المادية والصورية والتركيبية، ثم وظائف الكلام: الوظيفة الإفصاحية والوظيفة التأثيرية الاعتبارية، فالوظيفة الإفهامية والمعيارية والمرجعية التأصيلية. وتناولت في المبحث الثالث علاقات الترادف والتقابل والتعاطف، في حين خصصت المبحث الرابع لضمائم الكلام الإضافية والوصفية. وحصرت المبحث الخامس في مشتقات الكلام.

تناولت في الفصل الثاني، مصطلح الاسم، وقسمته بدوره إلى خمسة مباحث:

عرّفت في المبحث الأول الاسم لغة، واصطلاحا، ثم ذكرت تعريف ابن يعيش له. وبيّنت في المبحث الثاني، مكانة الاسم، ووظيفته الصرفية والنحوية. أشرت في المبحث الثالث إلى مختلف تصنيفات الاسم. وذكرت في المبحث الرابع: علاقات الاسم: الترادف، والتقابل، والتعاطف. وتطرقت في المبحث الخامس إلى الضمائم الإضافية والوصفية للاسم.

هذا عن الباب الأول، أما الباب الثاني، المعنون بمصطلح الفعل ومصطلح الحرف، فاحتلّ فصلين:

الفصل الأول، تناولت فيه مصطلح الفعل، وقسمته إلى ستة مباحث:

عرّفت في المبحث الأول الفعل لغة، واصطلاحا، ثم في اصطلاح ابن يعيش. وتناولت في المبحث الثاني مكانة الفعل، ووظيفته الصرفية والنحوية، وخصصت المبحث الثالث لعلامات الفعل، وتطرقت في المبحث الرابع لعلاقات الترادف والتقابل والتعاطف. وخصصت المبحث الخامس لبيان الضمائم الإضافية والوصفية، وختمت هذا الفصل بمبحث سادس، وهو المتعلق بمشتقات الفعل.

أما الفصل الثاني، فتناولت فيه مصطلح الحرف، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، توخيت بالمبحث الأول الوقوف على تعريف الحرف لغة واصطلاحا، وفي اصطلاح ابن يعيش، وبيان مكانة الحرف، ووظيفته، وكذا أنواعه، أما المبحث الثاني فتناولت فيه علاقات الحرف وضمائمه، وتطرقت في المبحث الثالث لمشتقات الحرف.

وخصصت الباب الثالث للقضايا النحوية والصرفية المستخلصة من تصنيف المصطلح النحوي ودراسته في "شرح المفصل" لابن يعيش وقسمته بدوره إلى فصلين، تطرقت في الفصل الأول إلى بعض القضايا النحوية والصرفية، وقسمته إلى مبحثين: تناولت في المبحث الأول القضايا النحوية، وذلك من خلال بيان الفرق بين المصدر واسم المصدر، والوقوف عند كلمة "سواء"، وكذلك المقام ودوره في تحول التراكيب.

أما المبحث الثاني، فخصصته للقضايا الصرفية، وأخذت على سبيل المثال لا الحصر: قضيتي الإلحاق والاشتقاق.

أشرت في الفصل الثاني إلى بعض قضايا الاختلاف بين الزمخشري وابن يعيش، وكذا قضية التعريف عند ابن يعيش. قسمت هذا الفصل إلى مبحثين: مبحث خاص بقضايا الاختلاف، تناولت فيه مواقف ابن يعيش النحوية والصرفية، وجهوده اللغوية. وقفت في المبحث الثاني: عند التعريف في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، ومفهومه وأهميته عند ابن يعيش.

وتناولت في الخاتمة بعض خلاصات البحث ونتائجه.

ذيّلت البحث بملحق خاص بالمصطلحات النحوية المعرفة في شرح المفصل لابن يعيش، ومصادر البحث ومراجعه ، وكذا بفهرس تفصيلي للمحتويات.

**5ـ صعوبات البحث:**

لا بد أن تعترض البحث بعض الصعوبات، ولذلك تعددت وتنوعت، بل إن منها ما كاد يثنينا عن مشروعنا، لولا توفيق الله أولا، ثم التصميم والإرادة ثانيا. وأهم تلك الصعوبات:

ـــ ضخامة حجم الكتاب، إذ إنه يتكون من ستة مجلدات.

ـــ ما يتطلبه الإحصاء في الدراسة المصطلحية من جهد مضن في تتبع المصطلحات وتعريفاتها، فقد تطلبت عملية جرد المصطلحات وقتا طويلا، إذ بلغ عدد المصطلحات والمفاهيم التي تم جردها في أول الأمر أزيد من خمسة آلاف مصطلح ومفهوم، وبذلك صعبت الدراسة، مثلما صعب التصنيف.

ـــ تفرق مواضيع مصطلحات الكلام في المتن المدروس، وكثرة النصوص التي وردت بها مصطلحات "الاسم" و"الفعل" و"الحرف".

ـــ صعوبة تحديد مفاهيم العديد من الألفاظ الاصطلاحية وحصر دلالتها، والتمييز فيها بين ما هو من صميم الدلالة النحوية الخالصة، وبين ما هو من صميم دلالات ذات صلة بالمجالات العلمية التي وظفت فيها هذه الألفاظ.